حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من ولادته حتى وفاته

كان النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام من أشرف أشراف القريش، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقد خلق النبي بعد زواج والده عبد الله من أمه آمنه بنت وهب، وولد النبي محمد -صلي الله عليه وسلم- يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، وهو العام الذي أراد فيه أبرهة الحبشي هدم الكعبة المشرفة، ولكن رب البيت حمى بيته من الهدم، وأخبره عبد المطلب بأن للبيت رب يحميه، فتقدم أبرهة مع أسطول من الفيلة العملاقة لهدم أكثر بقاعة الأرض طهارةً، فأرسل عليهم الله طيوراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، وبذلك حمى الله بيته من ظلم المتجبرين، وقد توفي والده وهو حملٌ في بطن أمه على الصحيح من أقوال العلماء، فوُلد محمد يتيماً، قال -تعالى-: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)[1]، وسنتناول معكم حياة الرسول منذ ولادته حتى نزول الناموس عليه كما يلي:

مولد النبي ورضاعته

رضع محمد -عليه الصلاة والسلام- من ثديي حليمة من قبيلة بني سعد بعد أن قدمن نساء بني سعد إلى قريش تلتمس أي للرضاعة، ذلك بعد أن رفضت أغلب نساء بن سعد إرضاع الرسول محمد لأنه كان يتيمًا، ظنًا منهم أنه لن يكون له من يرعاه ولن يأخذن الأجر الوفير، ولأن حليمة كان لها ابنًا لم تستطع إرضاعه من الجوع، فنالت حليمة السعدية شرف إرضاع النبي، فعمت البركة في حياتها، ونالت خيراً عظيماً لم ترَ مثله من قبل، فأبقته في رعايتها لمدة عامين وبعد ذلك عادت به إلي مكة لتستأذن أمه في بقائه عندها فعادت به إلي بني سعد، وبقى عندها حتى شهدت حادثة شق الصدر فأسرعت به إلي أمه لتعيديه إليها.

مراحل كفالة النبي

ماتت والدة النبي- عليه السلام- آمنة بنت وهب وهو ابن الستة سنوات، وكانت عائدة به من عند أخواله من منطقة الأبواء، وهي منطقة واقعة بين مكة والمدينة، فبعد وفاة أمه أنتقل إلي كفالة جده عبد المطلب حيث كان يعتني به ويحبه ويسعد لفرحه، ظانّاً فيه الخير والشأن العظيم، ثم بعد ذلك توفي جده عبد المطلب والنبي في الثامنة من عمره، وانتقل النبي بعدها إلى كفالة عمه أبي طالب، وكان يأخذه معه في ترحاله وتجارته، وفي إحدى الرحلات أخبره رهبان من النصارى بأن محمد سيكون له شأن عظيم يومًا ما.

عمله برعي للأغنام

اتخذ الرسول -عليه الصلاة والسلام- من رعي أغنام عملًا له عند أهل مكة، وفي ذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ، فقالَ أصْحابُهُ: وأَنْتَ؟ فقالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أرْعاها علَى قَرارِيطَ -جزء من الدينار والدرهم- لأهْلِ مَكَّةَ)، وبذلك كان النبي -عليه السلام- يكسب قوت يومه بعرق جبينه.

عمله بالتجارة

كانت خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- من أغنياء أهل قريش فقد كانت ذات مال كثير ونسب رفيع، وكانت تشتغل في التجارة، ولم تكن تجد أحدًا تستأمنه على مالها، وحين بلغها أن محمداً رجل صادق في قوله، أمينٌ في عمله، كريمٌ في أخلاقه، أوكلته بالخروج في تجارتها مع غلام لها أسمه ميسرة، فخرج -عليه الصلاة والسلام- متجرًا إلى بلاد الشام، وجلس في الطريق تحت ظلّ شجرة قريبة من راهب، فحدث ذلك الراهب غلام خديجة ميسرة أنّ مَن نزل تحت تلك الشجرة لم يكن إلا نبياً، وأخبر ميسرة خديجة بقول الراهب، وبعد أن صان الأمانة وحفظ التجارة عرض عليه السيدة خديجة أن يتزوجها فقبل النبي.

بداية نزول الناموس على الرسول

كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يحب الخلوة بنفسه في غار حراء بعيدًا عن أعين القوم ليعبد الله وحدة، متفكراً في عظمة خلق الله وإبداعه في الكون الكبير، وكانت يرى أحلامًا واضحة وتتحقق فيما بعدها، وبينما هو في الغار جاءه جبريل عليه السلام فقال له: (اقرأ)، فرد الرسول الأمي قائلاً: (ما أنا بقارئ)، وتكررّ الطلب أكثر من مرة، فقال جبريل- عليه السلام- في المرة الأخيرة: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)[2]، فرجع إلى زوجته خديجة وهو في حالة رعب وخوف شديدين، ليحدثها بما حدث معه، فما كان منها إلا أن طمأنته وهدأت من روعه، وأخذته إلي ابن عمها ورقة ابن نوفل، ليخبرها بأن زوجها نبي الله، وان ما أتاه هو الناموس العظيم الذي نزل على موسى- عليه السلام.-

بداية الدعوة الإسلامية

لم يستطع النبي محمد الجهر بالدعوة الإسلامية في بداية الأمر، بسبب انتشار عبادة الأصنام وقوه قريش جيناها، فما كان من رسول الله إلّا الإسرار بالدعوة، وبدأ بدعوة أهل بيته ومن أحس فيه الصدق والأمانة في حفظ الدعوة والاستجابة لعبادة الله، فكانت زوجته خديجة ومولاه زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالبٍ وأبو بكر الصديق من الأوائل في الدخول في الإسلام، ثمّ ساند أبو بكر الرسول في دعوته فأسلم على يديه الكثيرين منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، ثمّ انتشر الإسلام في مكة، وذاد عدد الداخلين في الإسلام و الموحدين بالله، إلى أن جهر النبي بالدعوة بعد ثلاث سنواتٍ من الإسرار بها.

بدأ رسول الله -عليه السلام- بدعوة عشيرته جهارةً، قال تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[3]، فصعد الرسول-صلي الله عليه وسلم- أعلى جبل الصفا، ونادى بالناس حتى تجمعوا، ودعا قبائل قريش إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، فزجروه ونهوه عما هو فيه، إلّا أنّ الرسول لم يتوانَ في الدعوة، وأخذ أبو طالب على نفسه مسؤوليه حماية محمد والحفاظ على حياته من مكر قبائل قريش، حتى يتم الله وعده.

الهجرة من مكة

لقد مر على المسلمون مراحل عديدة من الهجرة فرارًا بدينهم وأنفسهم من قريش وأهلها، فبعد أن جهر النبي بالدعوة إلي الله، اتفقت قريش وأهلها على محاربة النبي ومن تبعه، فساموا أتباعه سوء العذاب، ونكلوا بهم، ولما اشتد الأمر على أصحاب رسول الله أمرهم بالهجرة إلي الحبشة فإن فيها ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، ثم هاجر النبي إلي الطائف ولكن قابلوه أهلها بالكبر والعناد وصدوه وأذوه، وعند عودة النبي إلي مكة استقبل الناس القادمين للحج إلي مكة، ودعاهم إلى التوحيد بالله، فآمن به عدد كبير من أهل يثرب، فكانت بيعة العقبة الأولى والثانية، حتى أذن له الله بالخروج والهجرة إلى يثرب، فأمر أصحابه بالهجرة ثم تبعهم هو وصاحبه أبو بكر، فاستقبله أهل يثرب بالأناشيد والفرح والسرور، فأسماها النبي بالمدينة المنورة[4].

وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام

توفّي النبي -عليه الصلاة والسلام- يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة النبوية، ذلك بعد مرضه واشتداده عليه، وطلب من زوجاته أن يمرّض ببيت أم المؤمنين عائشة، وكانت عادة رسول الله في مرضه أن يدعو الله -تعالى- ويُرقي نفسه، وكانت عائشة تفعل ذلك له أيضاً، وفي مرضه أشار بقدوم ابنته فاطمة الزهراء، وتحدّث إليها مرتين سرّاً فبكت في الأولى وضحكت في الثانية، فسألتها عائشة -رضي الله عنها- عن ذلك، فأجابتها بأنّه أخبرها في الأولى بأنّ روحه ستقبض، وأخبرها في الثانية بأنّها ستكون أول من يلحق به من أهل بيته، واختلفت الروايات في تحديد عمره حين وفاته، فقيل: ثلاثة وستون سنةً وهو الأشهر، وقيل خمسة وستون، أو ستة ستون، ودفن مكان وفاته في حفرةٍ حُفرت تحت فراشه الذي تُوفّي فيه.